مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٢٠:١٦-١٨، ٢٨-٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولُسُ أن يتجاوزَ أفسُسَ في البحرِ لئلاَّ يعرضَ لهُ أن يُبطئَ في آسية، لأنهُ كانَ يعجلُ حتَّى يكونَ في أورشليمَ يومَ العنصرة إن أمكنَهُ* فمِن ميليتُسَ بعثَ إلى أفسُسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمَّا وصلوا إليه قال لهم* احذَروا لأنفُسِكم ولجميعِ الرعيَّةِ التي أقامَكُمُ الروحُ القدُسُ فيها أساقفةً لترعَوْا كنيسةَ اللهِ التي اقتناها بدمِه* فإنّي أعلمُ هذا أنَّهُ سيَدْخُلُ بينكم بعدَ ذهابي ذئابٌ خاطِفَة لا تُشفِقُ على الرعية* ومِنكم أنفُسكم سيقومُ رجالٌ يتكلَّمون بأمورٍ ملتويةٍ ليجتذبوا التلاميذَ وراءهم* لذلكَ اسهروا مُتذكِّرين أنّي مدَّة ثلاثِ سنينَ لم أكفُفْ ليلاً ونهاراً أن أنصحَ كلَّ واحدٍ بدموع* والآنَ أستودِعُكم يا إخوتي اللهَ وكلمةَ نعمتهِ القادرةِ أن تبنيكم وتمنحكم ميراثاً معَ جميعِ القديسين* إنّي لم أشتهِ فضَّةَ أو ذهبَ أو لباسَ أحدٍ* وأنتم تعلَمون أنَّ

أحد الأباء

تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة في الأحد الواقع بين عيدَي الصعود والعنصرة للآباء الثلاثمئة والثمانية عشر المجتمعين في المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥. كانت نيقية احدى أهم مدن الإمبراطورية الرومانية وهي الآن قرية اسمها «أزنبيق» تقع في الأناضول في شمالي غربي تركيا الحالية.

الدعوة لالتئام المجمع وجهَّها القديس الملك قسطنطين المعادل الرسل أثر انتشار بعض التعاليم اللاهوتية المغلوطة التي بثَّها الهرطوقي آريوس والتي أثرت على استقرار الإمبراطورية ووحدتها، إذ ان كل شغب داخل الكنيسة كان سيؤثر سلباً على الإمبراطورية المسيحية الناشئة حديثاً. لقد علَّم آريوس «ان الإبن غريب من جوهر الآب»، أي ان الإبن ليس مساو للآب في الجوهر، في الألوهة، أيّ انه ليس إلهاً كاملاً وحقيقياً. لبَّى ٣١٨ أسقفاً من الكنيسة شرقاً وغرباً دعوة الملك قسطنطين وأعلنوا بالإجماع شجب الكنيسة الجامعة لتعاليم آريوس وتبنوا دستور إيمان كنيسة قيصرية فلسطين الذي كان يتلوه في ذلك الوقت المزمعون أن يعتمدوا، والذي يشكل القسم الأول من الدستور (حتى عبارة وبالروح القدس) الذي نتلوه في كل قداس إلهي.

لقد أعلنت الكنيسة في هذا الدستور ان الرب يسوع هو ابن الله وهو إله كامل ومساو للآب في الجوهر (Homoousios باليونانية).

كان همُّ آباء مجمع نيقية أن يشهدوا للحق عبر التعليم الصحيح. لم يكونوا في وارد المساومة على إيمان الكنيسة بعدما توقفت الاضطهادات وحصلت الكنيسة على السلام، كما لم يساوم قسم كبير من هؤلاء على الإيمان أيام الإضطهادات ولم ينكروا إيمانهم بيسوع أو لم يجحدوه. نذكر ان الكثير من آباء المجمع المسكوني الأول حضروا وعلى أجسادهم آثار العذابات التي تحملوها في زمن الاضطهادات، محبة بيسوع وشهادة للحق. فبولس أسقف قيصرية الجديدة كان يابس العصب، وتوما أسقف مرعش كان مشوَّه الأعضاء، ولم يكن القديس اسبيريدون أسقف تريميثوس (في قبرص) أفضل حالاً منه.

إن الإيمان بأن يسوع هو ابن الله يشكل أحد أهم ركائز الكنيسة. عندما

العدد ٢٠٠٤/٢١
الأحد ٢٣ أيار
أحد آباء المجمع المسكوني الأول
تذكار أبينا البار ميخائيل المعترف أسقف صوناده
اللحن السادس
إنجيل السَحَر العاشر

حاجاتي وحاجاتِ الذينَ معي خدَمَتْها هاتانِ اليدانِ* في كلِّ شيءٍ بيَّنتُ لكم أنَّهُ هكذا ينبغي أن نتعبَ لنساعدَ الضُّعفاءَ وأن نتذكَّرَ كلامَ الربِّ يسوعَ. فإنَّهُ قالَ إنَّ العطاءَ هو مغبوطٌ أكثرَ منَ الأخذِ* ولمَّا قال هذا جثا على رُكبتيه مع جميعهم وصلَّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١–١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السماءِ وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مجِّد ابنَك ليمجِّدَك ابنُك أيضاً* كما أعطيتَهُ سلطاناً على كلّ بشرٍ ليُعطيَ كلَّ من أعطيتَهُ له حياةً أبديَّةً* وهذه هي الحياةُ الأبديةُ أنْ يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجَّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآنَ مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندَك من قبلِ كونِ العالم* قد أعلنتُ اسمَك للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالم* هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفظوا كلامك* والآن قد علِموا أنَّ كلَّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنَّ الكلامَ الذي أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ لهم. وهم قبلوا وعلِموا حقًّا أنّي منكَ خرجتُ وآمنوا أنَّك أرسلتني* أنا من أجلِهم أسألُ. لا أسألُ من أجلِ العالمِ بل مِنْ أجلِ الذينَ

سألَ الربِّ يسوع تلاميذه «مَن تقولون إنّي أنا، فأجابَ سمعانُ بطرسُ وقالَ **أنتَ هو المسيحُ ابنُ اللهِ الحيِّ**. فأجابَ يسوعُ وقالَ لهُ طوبى لكَ يا سمعانَ بنَ يونا. إنَّ لحماً ودماً لم يُعلِن لكَ لكنَّ أبي الذي في السموات. وأنا أقولُ لكَ أيضاً أنتَ بطرُسُ وعلى هذه الصخرةِ أبني كنيستي» (متى ١٦: ١٥–١٨). إذاً على صخرة إيمان بطرس بيسوع المسيح ابن الله بنى الرب الكنيسة، هذه الكنيسة التي سنعيِّد لتأسيسها يوم عيد العنصرة. وفيما نحن اليوم، بعد عيد الصعود، نعيش فترة انتظار حلول الروح القدس الذي وعد الرب بإرساله عندما صعد إلى السماء، وبتأسيس الكنيسة ، تذكرنا الليتورجيا بأن الإيمان بيسوع على انه ابن الله هو الركيزة التي تُبنى عليها الكنيسة، وهذا هو جوهر تعليم آباء المجمع المسكوني الأول: «أؤمن بإلهٍ واحد... وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله الوحيد... مساوٍ للآب في الجوهر». لقد انطلق يسوع في عيد الصعود إلى السماء ليرسل لنا الروح القدس، هذا الروح الذي قال عنه الرب يسوع «متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقِّ فهو يرشدكم إلى جميعِ الحقِّ» (يو ١٦: ١٣). كما انه «ليس أحدٌ يقدر أن يقولَ يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالروحِ القدس» (١ كو ١٢:٣). لذا يأتي عيد الآباء بين الصعود والعنصرة، ولهذا نقرأ في هذا اليوم المقطع من إنجيل يوحنا (١٧:١–١٣): «... وهذه هي الحياةُ الأبديةُ أنْ يعرفوكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح... كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لك هو لي... احفظهم باسمك الذين أعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن...».

الرسالة التي نقرأها في هذا الأحد (أع ٢٠: ١٦–١٨، ٢٨–٣٦) تتعامل بشكل مباشر مع تعاليم آريوس الهرطوقي عبر تحذير الرسول بولس انه «سيدخل بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطفةٌ لا تُشفِقُ على الرعيَّة. ومنكم أنفسكم سيقومُ رجالٌ يتكلَّمونَ بأمورٍ ملتويةٍ ليجتذبوا التلاميذ وراءهم» (أع٢٠: ٢٩–٣٠). كما انها تعلّمنا ان الشر سوف يحاول دائماً تحطيم الكنيسة لذلك علينا أن نكون متيقظين.

تذكار الآباء القديسين في هذا الأحد يذكّرنا بأن الكنيسة التي أسسها الرب يوم العنصرة ستبقى حيَّة بنعمة الروح القدس من خلال كل من يشهد للإيمان وللرب يسوع بأنه إله ورب. يقف تذكار الآباء القديسين أمامنا ليذكّرنا بأنه علينا نحن الذين وُلدنا في الكنيسة بالمعمودية المقدَّسة مهمَّة كبيرة: أن نبقى شهودًا أمناء للرب «ولكلمة نعمته القادرةِ أن تبنيكم وتمنحكم ميراثاً مع جميع القديسين» (أع ٢٠:٣٢).

على ما في الكتب

في إنجيل يوحنا نقرأ أن رؤساء كهنة اليهود جاؤوا بعد صلب الرب يسوع إلى بيلاطس يحتجّون على العبارة التي أمر الوالي بتدوينها كخلاصة حكم تعلّق على الصليب، على حسب العادة آنذاك. أما رد بيلاطس فكان حازماً «ما كتبتُ قد كتبتُ» (يو ١٩: ٢٢). بيلاطس ورؤساء الكهنة في هذا الجدال متوافقون ضمناً على أهمية ما قد كُتب. اليهود أتوا طالبين تعديل العبارة لأنهم، وهم أبناء الناموس، يَعون قوة الإعلان المكتوب. أما بيلاطس فبات الأمر بالنسبة إليه محكّاً لسلطانه وهو الوالي والحاكم وحكمه لا يُرَدّ ولا نقاش فيه. لكن الإشارة الأشد دلالة والأعمق مغزىً تكمن في ما يرمي إليه الإنجيلي يوحنا من إيراد هذه الحادثة في

أعطيتَهم لي. لأنَّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هو لي وأنا قد مُجّدتُ فيهم* ولستُ أنا بعدُ في العالم وهؤلاءِ هم في العالم. وأنا آتي إليك. أيُّها الآبُ القدُّوسُ احفَظهُم باسمِك الذين أعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن* حين كنتُ معهم في العالمِ كنتُ أحفَظُهُم باسمك. إنَّ الذين أعطيتَهم لي قد حفِظتُهم ولم يهلِك منهم أحدٌ إلاَّ ابنُ الهلاكِ ليتمَّ الكتابُ* أمَّا الآنَ فإنّي آتي إليك. وأنا أتكلَّمُ بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملاً فيهم.

تأمل

«كل ما هو لي هو لك وما هو لك هو لي وأنا ممجّد فيهم» (يو ١٧:١٠). ألاحظتَ التساوي في الإكرام؟ حتى عندما تسمع العبارة «الذين أعطيتني» (يو ١٧:١٢) لا تظنّ من جهة انهم خرجوا من سلطان الآب ومن جهة أخرى انه قبل ذلك لم يكونوا تحت سلطة الإبن. فهو يدحض الفكرتين ويأتي بكلام الآية ١٧: ١٠ وكأنه يقول: عندما أعطيتني إياهم لم يصبحوا غرباء عن الآب لأن كل ما هو لي هو لك. وكذلك عندما تسمع «انهم كانوا عندك» لا تعتقد انهم كانوا غرباء عن الإبن لأن كل ما هو لك هو لي. من هنا ان الكلمة «أعطيتني» قيلت فقط من حيث التنازل أو

إنجيله عندما يعطي العبارة المكتوبة صفة الرسمية والنهائية. يسوع الناصري هو «ملك اليهود» وهذه حقيقة أراد أن يثبتّها الإنجيلي يوحنا. عنده تصبح خلاصة الحكم إعلاناً نبوياً، كلمة إلهية مدوّنة رسمياً ولها كل ما للإعلان الإلهي من قداسة وعصمة. قوة الكلمة الإلهية في وجدان شعب الله تأتي من أنها «إلى الأبد مثبَّتة في السموات» كما يقول صاحب المزامير (١١٩: ٨٩)، وسفر الرؤيا يكيل الويل لمن يزيد عليها أو ينقص منها (٢٢:١٨– ١٩).

منذ الأسفار الأولى للشريعة والله يوصي باعتناق كلمته وتدوينها لا في القلوب وعلى الألسن وحسب، بل وعلى تاج رئيس الكهنة كما في سفر الخروج (٣٩:٣٠) وعلى دعائم أبواب البيوت كما في سفر تثنية الإشتراع (٦:٩). لذا كان من الطبيعي أن يعمد أنبياء إسرائيل إلى تدوين نصوص نبوءاتهم، مما يعطيها صبغة الكلمة الرسمية التي لا رجوع عنها. وكما كان الأنبياء واعين انهم ينطقون بكلمة الله، كانوا أيضاً يشهدون أنهم يدوّنونها بأمره تعالى كما نرى في سفرَي إشعياء (١:٨) وإرميا (٣٦:٢) وغيرهما من الأنبياء. وعند تحقيق الأحداث، تثبت هذه الشهادة المدونة المحفوظة أن الله نفسه هو الذي سبق وأنبأ عنها وليست من عنديات النبي. هكذا تكون الكلمة المكتوبة شاهداً على أمانة الله وصدق مواعيده. إذاً الكتب التي يشير إليها دستور الإيمان «على ما جاء في الكتب» هي هذه الكلمة الإلهية المدوّنة بأمر من القدوس، والتي ليست إلا التعبير الرسمي الثابت عن عمل الله ومواعيده الخلاصية. الله يمليها والله يحققها، هي تشهد لصدق مواعيده وعليها ختم قداسته. هذا ما يفسر لنا قول سفر الخروج أن اللوحين الحجريين اللذين فيهما جوهر الشريعة مكتوبان «بإصبع الله» (٣١:١٨).

ولأن الله لا يمكن أن يتكلم عبثاً على ما يشهد سفر حزقيال (٦:١٠)، هيأ قدوس إسرائيل شعبه بالشريعة وبالإعلانات النبوية مرتقياً به من موعد إلى موعد، وصولاً إلى تحقيق الموعد الكبير الحاصل بالمسيح يسوع، وهو غاية الناموس والأنبياء وكمالهما. لما تجلّى الرب يسوع بمجده الإلهي على جبل ثابور، رأينا إلى جانبه موسى ممثلاً الشريعة وإيليا ممثلاً الأنبياء، يحادثانه وكأنهما شاهدان على تحقيق ما سعيا إليه (متى ١٧:٣). الرب يسوع لم يترك شيئاً مكتوباً لأنه لم يأتِ حاملاً إعلاناً بل لتحقيق الإعلان الإلهي وكماله. لذا فهو أكد في حياته وكافة تعاليمه قيمة كل ما كُتب وثباته حتى النجاز (متى ٥: ١٨)، وبقي حتى ما بعد القيامة يشرح لتلاميذه ما قاله لهم قبلاً ولم يفهموه، «أنَّه لا بدَّ أن يتمَّ جميعُ ما هو مكتوبٌ عني في ناموسِ موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤:٤٤).

في مواضع عدة من الإنجيل يظهر جلياً في الرب يسوع تمام آيات الكتاب، أي تحقيق ما قد كُتبَ «فكانَ هذا كله لكي يتمَّ ما قيلَ بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتانٍ وجحش ابن أتان» (متى ٢١:٤–٥). لذلك كلّما شهدنا في دستور إيماننا أن ابن الله الوحيد «تألم وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب»، نشهد على صدق مواعيد الله وكلماته وتحقيقها.

في عبارة «على ما في الكتب» نشهد إيمانياً أن آيات الكتب تحققت، وهي ما كانت إلهية لو لم تتحقق. نحن أيضاً نشهد على أزلية الكتاب المعطى لنا من الله وعلى انه منارة

التواضع لأن كل ما يخصّ الآب يخصّ الإبن وكل ما يخص الإبن يخص الآب. ولا يمكن أن يُقال ذلك عن الإبن كإنسان لأن الكلام يدور عمّا هو أسمى. والذي يخص الأدنى يخص الأسمى ولا نستطيع عادة أن نعكس الآية. لكنه هنا يعكسها والمعاكسة هذه تدلّ على المساواة.

يظهر ذلك جلياً في مكان آخر: «كل ما للآب هو لي» (يو ١٦:١٥). كان يتكلّم هناك عن المعرفة. أمّا العبارة «الذين أعطيتني» وكل ما يشابهها فهذه يقولها ليظهر انه لم يتسلّمهم كشخص غريب بل يتسلّمهم كخاصته. بعد ذلك يذكر السبب والبرهان قائلاً: «وأنا ممجّد فيهم» أي ان لي سلطاناً عليهم أو أنهم سوف يمجّدونني عندما يؤمنون بك وبي ويمجدوننا سوياً. إن لم أمجّد بهم بالطريقة نفسها لن يكونوا خاصة الآب أيضاً لأنه لا يمجّد أحدٌ من أناس ان كان ليس لديه عليهم سلطانٌ.

كيف يُمجّد كالآب؟ يموت الجميع من أجله كما من أجل الآب، يبشّرون به كما يبشرون بالآب تماماً وكما يقولون ان كل شيء يكون باسم الآب هكذا يكون باسم الإبن أيضاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

تهدينا إلى سواء السبيل. نتحدث هنا عن أزلية الكتاب لأننا بالمسيح يسوع انتقلنا في الكتاب نفسه من الحرف الذي يميت إلى الروح الذي يحيي، ولا روح في الكتاب بدون المسيح (٢كور ٣: ٦ و١٤)، كلمة الله الذي من أجله وبه كان كل شيء. معاينة المسيح في «الكتب» تُنبع حياة أبدية، والإعراض عن الإيمان بيسوع المسيح رباً ومخلّصاً أوحداً، بحجة الاكتفاء بالشريعة، هو إعراض عن الإيمان بالشريعة نفسها. كُتُبُ الناموس والأنبياء تحققت بالمسيح يسوع، وبدونه تبقى إعلاناً لم يبلغ مرامه.

بعبارة «على ما في الكتب» نشهد نحن معشر المؤمنين أن آيات الكتب المقدسة صارت حقيقة حية، فهي بالنسبة لنا ما عادت صفحات نتيه في محاولات تفسيرها عقلانياً بل كتاباً مفتوحاً تحكي كل صفحاته سراً إلهياً واحداً: المسيح فادي الخليقة بأسرها، الألف والياء والبداية والنهاية (رؤيا ١٣:٢٢).

وبرب واحد يسوع المسيح

«يجب على الذين تعلّموا وآمنوا بإله واحد آب ضابط الكل، أن يؤمنوا كذلك بالإبن الوحيد «لأن من يُنكر الابن ليس له الآب» (١يو ٢:٢٣). يقول يسوع: «أنا الباب» (يو١٠:٩) «لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي» (يو ١٤: ٦). وعليه، إن أنكرت الباب تُقفل عليك المعرفة للوصول إلى الآب. «ما من أحد يعرف الآب إلاّ الإبن، ومن شاء الإبن أن يكشف له» (متى ١١: ٢٧). فإن أنكرت الذي يكشف لك فأنت تبقى في الجهل. هذا حكم الإنجيل الذي يقول: «من لم يؤمن بالإبن لا يرى الحياة الأبدية، بل يلزمه غضب الله» (يو ٣: ٣٦). الواقع أن الآب يغضب عندما يُستهان بابنه الوحيد. إنه لمن الخطورة بمكان في نظر مَلك أن يُهان أحد جنوده؛ ولكن إذا كانت الإهانة تلحق بأحد فرسانه المجيدين أو بأحد أصدقائه فإنه يستشيط غضباً. وإذا أُهين الإبن الوحيد للملك، فمن يقدر عندئذ أن يطفئ سورة غضب الأب من أجل إبنه الوحيد؟

فإن أراد أحد أن يُظهر ورعه لله فليعبد الإبن وإلاّ فإن الآب لن يقبل عبادته. لقد أعلنه الآب في السماء قائلاً: «هذا هو إبني الحبيب الذي عنه رضيت» (متى ١٧:٣). سُرَّ الله بابنه، وإن أنت لا تسرّ به فلن تكون لك الحياة. لا تنساق إلى اليهود الذين يقولون كافرين بأنه لا يوجد إلاَّ إله واحد. بل عليك، بعد أن رأيت أن الله واحد، أن تعترف أيضاً بابن الله الوحيد. إني لست أول القائلين بذلك؛ إن صاحب المزامير يقول عن أقنوم الإبن: «الرب قال لي: أنت ابني» (مز ٧:٢). لا تتمسّك بما يقوله اليهود، بل بما يقوله الأنبياء. لماذا تتعجّب من ازدرائهم لأقوال الأنبياء إن كانوا قد رجموا الأنبياء وقتلوهم؟ آمن أنت بربّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد...».

القديس كيرلس الأورشليمي

عيد العنصرة

بمناسبة عيد العنصرة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي، تليه صلاة السجدة، عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٣٠ أيار ٢٠٠٤ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb